الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عهد الله

الحلقة السادسة عشر

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات.....

مساعد: ماذا تقرأ يا خالد؟

خالد: شيئاً عن تاريخ المسلمين بعد سقوط الدولة الفاطمية وظهور الدولة الأيوبية.

مساعد: وما الذي يلفت نظرك في قراءتك لبعض قصة هذه المرحلة من تاريخنا الاسلامي؟

خالد: يبدو لي أن لكل عصر رجاله الذين يمثلون اتجاهاته المختلفة.. وقد أعجبني من هؤلاء الرجال العز بن عبد السلام لأنه أبرزهم في التعبير عن روح التقدم وأكثرهم ادراكاً لروح الإسلام ونشاطاً في تحرير الناس من عناصر الخوف وعوامل الانحراف والخروج على الجادة.

مساعد: الحقيقة يا خالد أنك على حق حين تعتبر هذا الرجل الفاضل قمة من قمم التاريخ الإسلامي. فقد كان حفيظا على عهد الله أمينا على دينه جريئا في مواقف الحق لم يبال الأخطار التي تعرض لها..

خالد: ألا ترى يا أستاذ مساعد أن تخصّص للحديث عنه لقاء من لقاءاتك؟

مساعد: ولماذا لا يكون لقاء اليوم مخصصا للحديث عن هذا الرجل العظيم؟

خالد: إن إخواني كلهم موافقون على ذلك.

نقلة موسيقية.....

حافظ: هل سمعت بالنبأ الجديد يا صالح.

صالح: أي نبأ تقصد يا حافظ؟

حافظ: لقد وصل العز بن عبد السلام بعد أن كان سلطان دمشق له في بيت المقدس.

صالح: ومن الذي أطلقه من قيوده؟

حافظ: لقد قيل لي أن الجيش المصري هو الذي فك قيوده بعد أن عاجل الصالح إسماعيل وأدار الدائرة عليه مع حلفائه من الفرنجة. ومن ثم واصل العز رحلته إلى هنا فوصل إلى الديار المصرية واستقبلَ بالتجلّة والاحترام.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

صالح: وهل تعتقد يا حافظ أن العز بن عبد السلام سيعرف الطمأنينة في هذه الأرض؟

حافظ: ولماذا لا يعرفها؟ أوَليس أن جيش السلطان قد أنقذه؟ أولا يدل هذا على الرغبة المخلصة في استقباله وايوائه؟

صالح: لكن العز يا حافظ رجل مؤمن شديد الاستقامة لا يسكت عن انحراف ولا يغض البصر على الخطأ. إنه في رأيي سيصطدم بكثير من الرجال النافذين في السلطنة.

حافظ: أعتقد أنه يملك من التجربة وحسن التدبير والشجاعة ما يكفل له الخروج من المآزق معافى.. المهم الآن أن نستمع إليه.

صالح: أين يستقبل الناس؟

حافظ: يبدو أنك قد انقطعت عن القاهرة لفترة طويلة من الزمن.

صالح: هذا صحيح.. التجارة يا حافِظ هي السبب. قل لي: أين نجده؟

حافظ: أولا يجب أن تعرف أنه يتولى الخطابة في جامع عمرو بن العاص وليس هذا بالأمر اليسير. كما يتولى الإشراف على عمارة المساجد. وأصبح له منصب قاضي القضاة منصب الإفتاء.

صالح: كل هذا حدث ولما يمض على وصوله إلى الديار المصرية غير ستة أشهر؟

حافظ: هذا يعطيك صورة عن عظيم ما يتمتع به من الفضل والمهابة عند السلطان.

صالح: لكن كيف أسند إليه منصب الإفتاء والشيخ المنذري مفتى البلاد الأساسي ما يزال حيا يرزق؟

حافظ: أن الشيخ المنذري نفسه هو الذي تنازل عن منصب الإفتاء عرفانا منه بفضل العز بن عبد السلام.

صالح: لا بد أن يكون لهذا الرجل شأن في البلاد.. تعال بنا إليه فاليوم هو يوم جمعة.

نقلـة موسيقيـة.....

مساعد: هكذا مضى الرجلان حافظ وصالح إلى جامع عمرو بن العاص ليستمعا إلى خطبة العز بن عبد السلام.

خالد: هل صحيح أنه قد أطلق عليه لقب " سلطان العلماء "؟

مساعد: نعم هذا صحيح.. والمعروف أن العصر الذي عاش فيه العز رحمه الله كان كلفا بالألقاب يسخو بها على الرجال البارزين. وكان هذا اللقب " سلطان العلماء " هو الذي يعبر في العصر عن اعجاب الناس به وبعلمه.

خالد: هل تقول لنا شيئا عن مواقفه البارزة؟

مساعد: المواقف التي سجلها كثيرة.. ابتدأ بها في دمشق حيث قضى أكثر حياته ثم سبقته الأحاديث عنها إلى القاهرة حيث عاش بقية العمر التي امتدت عشرين عاما.

خالد: فما الذي كان يتميز به في دمشق؟

مساعد: وقفته ضد الملك الصالح إسماعيل بن العادل الذي استعان بالفرنجة على أخيه الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر. وقد سمح لهم مقابل ذلك باحتلال بعض المواقع والقلاع وبدخول دمشق لشراء السلاح.

خالد: لا بد أن وقفته كانت خطيرة جدا.

مساعد: الواقع أن تجار السلاح سألوا العز بن عبد السلام: هل يجوز لهم بيعه للعدو؟ وهي تجارتهم الوحيدة ومصدر رزقهم.

خالد: وماذا كان موقفه؟ وبمَ أجابهم؟

مساعد: لقد رفض يا خالد أن يقدم فتواه سرا بل اختار خطبة الجمعة في جامع دمشق وحمل فيها على السلطان وأفتى بتحريم بيع السلاح للأعداء كما قطع الدعاء له في الخطبة وهذا كما تعلمون أمر غير عادي في تقاليد الحكم آنذاك.

خالد: وهل مرت الخطبة دون رد من قبل سلطان دمشق؟

مساعد: وهل يمكن أن تمر دون رد منه لا سيما وأن التجاوب الذي لقيته خطبته عند المصلين كان تجاوباً قوياً هادراً. لقد بادر الصالح إسماعيل بن العادل إلى عزله من منصب الخطابة واعتقله كما اعتقل معه الفقيه المالكي أبا عمرو بن الحاجب الذي اتخذ من بيع السلاح للفرنجة مثل موقفه. ثم أفرج عنه وأمر بأن يلزم بيته فلا يستقبل أحدا غير الطبيب والحلاق ولا يخرج إلا إلى صلاة الجمعة والحمام.

خالد: وكيف خرج منها إلى القاهرة؟

مساعد: عندما ضاقت عليه دمشق قرر التسلل منها بصحبة ابن الحاجب وفي نيته اللجوء إلى القاهرة..

نقلـــة موسيقية.. طرق خفيف على الباب....

ابن الحاجب: من الطارق؟

العز: افتح يا أبا عمرو.

ابن الحاجب: " حركة فتح الباب " أهلا أبا محمد.

العز: سلام الله عليك.

ابن الحاجب: وعليك السلام ورحمة الله.. تفضل.

العز: " فترة صمت " هل أنت مستعد يا ابن الحاجب؟

ابن الحاجب: لقد كنت أظن أن التسلل أفضل مع أول الليل.

العز: هذا صحيح في الأيام العادية.. لكنني اخترت الخروج مع الفجر مبكراً دون أن يتنبه أحد إلى ذلك. وإني أظن أن السلطان لن يعرف بخروجنا قبل الغد فهو في رحلة صيد. وما يدرينا فقد تمتد رحلته إلى ما بعد الغد.

ابن الحاجب: والعساكر؟

العز: لقد تعوّدوا أن أغلق الباب على نفسي لفترة طويلة وحينما يتنبهون لغيابي نكون قد بعدنا عن دمشق؟

ابن الحاجب: اذ كان الأمر كذلك فأنا مستعد للخروج معك في كل وقت..

العز: فالآن إذاً يا أبا عمرو..

فترة صمت... بغلتان تسيران في الطريق ثم يرتفع صخب شديد تحدثه خيول كثيرة.. ويعود الصمت بعد ذلك...

ابن الحاجب: لا حول ولا قوة إلا بالله..

العز: لا تخف أبا عمرو فإني أظن أننا ناجيان؟

ابن الحاجب: كيف يا ابن عبد السلام وقد أصبحنا في قبضة السلطان؟ هل تظن أنه سيطلق سراحنا بعد الذي قمنا به؟

العز: الله هو المستعان عليه.. لا تنسى أننا هنا في بيت المقدس.. وأن المعركة بين السلطان وأخيه لا تلبث أن تبدأ بعد قليل وسنخرج من السجن باذن الله بعد انتصار السلطان نجم الدين أيوب.

ابن الحاجب: ليت أنك وافقت على دعوة أمير الكرك في الاقامة عنده.

العز: وكيف أقيم في بلد صغير مثل هذا يا أبا عمرو؟ أو ليس أننا قد وقفنا نفسينا على الجهاد في سبيل الله؟ وهل خير من القاهرة مدينة كبيرة تصلح لمثل هذا الأمر؟.. أنت تعلم أن الكرك أصغر من أن تتسع لعلم أمثالنا.

ابن الحاجب: " بعد تردد " صدقت أبا محمد.. ونسأل الله السلامة.

معركة.. صهيل خيل قعقعة سلاح... ثم تهدأ قليلا قليلا..

حافظ: هكذا نجا العز بن عبد السلام من السجن وتابع طريقه إلى مصر بعد النصر الذي سجله نجم الدين أيوب على الصالح إسماعيل.

صالح: وهل صحيح ما يتسامع به الناس من أنه رفض مصالحة السلطان اسماعيل بعد وقوعه في يده؟

حافظ: بل فعل أكثر من ذلك.. لقد عرض عليه بعض الناس أن يوافق على تقبيل يد السلطان إعراباً عن ندمه وإظهاراً لاعتذاره فتفكّ القيود عنه. أوَتدري بم أجاب هؤلاء؟

صالح: وبماذا أجابهم؟

حافظ: قال لأحدهم: والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا عن أن أقبل يده. يا قوم أنتم في واد وأنا في واد ، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به.

صالح: الآن وقد حمل في خطبته على أصحاب التكايا والخوانق التي افتتحت في الديار المصرية هل تعتقد أنه سيوفّق إلى تصحيح أوضاعها؟

حافظ: لست أدري.. لكن المعركة مع أصحابها لن تكون سهلة يسيرة.

صالح: فما رأيك في أن نزور واحدة من التكايا أو الخوانق في المدينة لنتعرف إلى رأي أصحابها في خطبة العز بن عبد السلام؟

حافظ: بكل سرور يا صالح فأنا حريص على متابعة جهاد هذا الرجل التقي الصالح الحافظ للأمانة والملتزم بعهد الله إلى عباده المؤمنين..

نقلة موسيقية.....

خالد: هل نفهم مما سمعناه يا أستاذ مساعد أن العز بن عبد السلام كان يعارض أصحاب الطرق من رجال التصوف في ذلك العصر؟

مساعد: طبعاً يا خالد.. والواقع أن معركته الاصلاحية كانت صعبة جدا لأنه تبين بأن أصحاب السلطان والنفوذ هم الذين كانوا يشجعون على إنشاء هذه التكايا والخوانق.. بالإضافة إلى بيوت عامة كان يقيم فيها رجال التصوف وكان من أشهرها " الخانقاه الصلاحية " التي كانت الدولة تجري على المقيمين فيها الرواتب والمخصصات والأرزاق..

خالد: حسن فهل لك أن تقول لنا الرأي الصحيح في هذه الطرق التي نشأت ولعبت أدوارا هامة في بعض مراحل التاريخ الإسلامي؟

مساعد: كنت أتمنى ذلك لولا أن تفصيل الحديث فيها يحتاج إلى وقت لا يتسع له لقاء اليوم.

خالد: فما رأيك في أن نستأنف الحديث في لقاء قادم؟

مساعد: نفعل إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله..

موسيقى نهاية.....